أمـــا حادثة المرأة المسلمة وما تعرضت لـــه من إهانة في سوق بني قينقاع إن كـــانت هذه الحادثة قد وقعت فعلاً علماً أن ابن سعد والطبري لم يعيراها بالاً و لم يأتيـــا عـــلى ذكرها في حديثهم عن غزوة بني قينقاع[1]. فإن أمرها قد حُسم بأن ثـــأرت جميـــع الأطراف لنفسها، فلم يبق ما يدعو إلى الحرب. زد على ذلك إذا كـــانت بـــنو قينقاع قد نبذوا العهد وحاربوا وتحصنوا في حصنهم، فكيف تكون الحـــرب وهم قد حصروا أنفسهم في حصنهم أو حصونهم ؟ المعروف أن المحاربين يخـــرجون مـــن الحصـــون ويقاتلون الأعداء وهذا لم يحدث لبني قينقاع فقد ظلوا محصورين في حصنهم حتى استسلموا لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن الذي يستنبط من كلام الواقدي أن الموقف بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهـــود ظل متأزماً بعد معركة بدر، ويمكن فهم سبب التأزم، وقد جاءت حادثة سوق بني قينقاع ففجرت الصراع بين المسلمين ويهود بني قينقاع فكانت كالقشة التي قصمت ظهر البعير. وسبق لابن هشام أن ذكر أن سبب القتال الذي وقع بين المســـلمين وبـــني قينقاع يعود بشكل رئيس إلى حادثة سوق بني قينقاع، علماً أن القصـــة بمقيـــاس المحدّثـــين ضعيفة جداً [2]. أما الرواية الثانية التي ساقها الواقدي، وكذلك الرواية التي نجدها لدى ابن سعد فإنهما متشابهتان إلى حد كبير، سوى أن روايـــة ابن سعد تذكر أن بني قينقاع كانوا قد وادعوا النبي صلى الله عليه وسلم، فهمـــا تعـــزوان سبب محاربة الرسول لبني قينقاع إلى خشيته من خيانتهم، لأن الله تبارك وتعالى أنزل على نبيه قوله تعالى:

﴿ وإِمَّـــا تَخَـــافَنَّ مِـــنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) انظر: ابن سعد:الطبقات، ٢/٢٨-٢٩، والطبري:تاريخ الرسُل والملوك: ٢/٤٧٩- ٤٨٢.

(٢) انظر: العُمري: السيرة النبوية الصحيحة، ١/٣٠٠ .